جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

— ١ —

لصديقنا الأستاذ أحمد أمين مؤلفات جيدة قامت على أساس النطق والعقل ، وهو من كبار الباحثين في العصر الحديث . ولكنه على أدبه وفضله لا يجيد إلا حين يصطحب الروية وبطيل الطواف بالموضوع الواحد عاماً أو عامين ، وذلك سر تفوقه فيما نشر من البحوث والتصانيف

ولسنا نظلم هذا الصديق الفضال حين نحكم بأنه لا يصلح لتقييد الخواطر السارة التي تطوف بالذهن من حين إلى حين ، لأن ذلك لا يتيسر إلا لمن رُزق موهبة أدبية تقيّد شوارد المعاني بلا تعب ولا عناء ، وتضيف المألوف إلى صنف الطريف بعذوبة التعبير وقوة الروح

أحمد أمين باحث كبير بلا جدال ، ولكنه ليس بكاتب ولا أديب ، وإن كان من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية !

ولم يستطع الأستاذ أحمد أمين على كثرة ما كتب وصنّف أن ينقل القارئ من ضلال إلى هدى ، أو من هدى إلى ضلال ، وإنما كانت مؤلفاته وبحوثه ضرباً من « التقرير » الذي يخاطب الأذهان ويعجز عن مخاطبة العقول والقلوب

وحياة الأستاذ أحمد أمين تؤيد ما نقول : فهو رجل لا يعرف الخلوة إلى الفكر والقلم ، ولا يتسع وقته لدرس ما في الوجود وما في الأخلاق من مشكلات ومعضلات ، وإنما يقرأ ويسمع ، ويملق على ما يقرأ ويسمع ، بدون أن يتغلغل إلى أسرار المجتمع أو سرائر القلوب

وهيام الأستاذ أحمد أمين بالظواهر قد عاد عليه بأجزل النفع من الوجهة الشكلية : فهو رئيس لجنة النشر والترجمة والتأليف ، وهو أستاذ بالجامعة المصرية ، وهو عضو في كل لجنة تؤلفها وزارة المعارف ، وهو مشرف على بيت المترب ، وهو مؤلف كتب وناشر مقالات ، وهو صاحب ثروة يدرها ويشق في سبيلها أعنف الشقاء .

وهذا كله مقبول ، ولكن الخطر كل الخطر في ألا يقنع هذا الرجل بما وُفّق إليه في حياته الرسمية والعاشية

الخطر كل الخطر في أن ينصب هذا الرجل نفسه حاكماً بأمره في تقرير مصير الآداب العربية ، وهو لم يستطع إلى اليوم أن يقيم الدليل على أنه يتذوق المعاني والأساليب

الخطر كل الخطر في أن يتوهم الأستاذ أحمد أمين أنه قادر على زعزعة ما أقامته الأيام من الحقائق الأدبية ، الحقائق التي ساد بها العرب في أزمان طوال ، وكان لها سلطان مهيب في أقطار الشرق وأقطار الغرب

ولكن ما الذي نقل ذلك الرجل الفاضل من حال إلى أحوال ، وحوّله من الروية إلى الارتجال ؟

ما الذي قضى بأن يثور أحمد أمين على ما خُلق له قيطالع الجمهور بآرائه من يوم إلى يوم وكان يلقاه من عام إلى عام ؟

لقد أصبح الرجل صحفيّاً ، وكان أستاذاً ؛ ولكنه لم يراع أدب الصحافة ، لأن الصحافة تقف عند المشاهدات وهو يهيم بأودية الفروض

ابتدأ هذا الرجل مقالاته في مجلة الثقافة بتلخيص بعض الكتب الأدبية فكان من الصحفيين الأدباء ، ثم رأيناه يتحول فجأة فيلخص الأدب العربي في جميع عصوره تلخيصاً يقوم على أساس الخطأ والاقتباس ، ويعوزه تحرير الحجة وتصحيح الدليل

قيمة الطبيعة وإلى شغل عقله بالبحث فيها حتى يهتدي إلى مفاتيح تسخيرها ويبرأ من عبادة ظواهرها وقواها ويعبد بارئها فقط . وقد نجحت النبوات نجاحاً باهراً في ذلك وأنقذت الإنسان الذي يمكن الجزء الأهم في الأرض وجعلته هو صاحب السيادة والسيطرة فيها ، وجعلت الأمم الوثنية خاضعة له ، أو ناظرة إليه وتابعة لخطواته . فلم يعد هناك حاجة إلى بعث رسل مؤيدين مكلمين من السماء لأن مجال الدين صار واضحاً وصار التدين مقروناً بالعلم لأن العلم كشف في القلب الإنساني منطقة لا غنى لها عن الدين . والخلاف الآن على الطقوس المختلفة في الديانات فقط . وسيكون أقرب هذه الأديان إلى الفطرة والسبيل العلمية هو دين الإنسانية القريبة الموحدة [الحديث بقية]

(بغداد — الرستمية) عبد المنعم خلوف